أمثلة من البيوت التراثية في مدينة جُبة

د. سعدي إبراهيم الدراجي
saadiib@yahoo.com
جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي

الخلاصة
لقد سعت الدراسة إلى توثيق عددا من البيوت بمخططات، ورسوم، ومحاولة توريخها بالاعتماد على ما توفر من معلومات من كبار السن في المنطقة. اما باقي الآثار سوف توثق في بحوث اخرى إن شاء الله.
أقتصر البحث على دراسة امثلة من البيوت التراثية، بعضها مبني على الارجح في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبعضها الآخر في بداية القرن العشرين. اذ لم توثق الأبنية القديمة في مدينة جُبّة سابقا بدراسة أثرية أو علمية جادة، برغم أهميتها بوصفها جزءاً من الموروث العماري للمنطقة الغربية.
وأهمية الدراسة تكمن في توثيق جوانب من المعالجات البيئية والمناخية التي اعتمدها المعمار العراقي في بيوت السكن، إذ إن صغر المساحات في الوحدات البنائية وطريقة تقسيمها من الداخل وثخن الجدران وطبيعة الحجر بوصفه المادة ألاساس في البناء، فضلا عن طريقة التسقيف بالخشب. من شأنه أن يجعل من عمائر المنطقة الغربية أمثلة رائعة للتغلب على الظروف المناخية القاسية والتقلبات الجوية التي تفرضها الطبيعة في العراق. لاسيما وان أهل هذه الاصقاع هم أكثر من استغل النخلة بفعالية واستفاد من أجزائها في الحياة اليومية.

Examples of heritage houses in Jubba city

Dr. Saadi Ibrahim Al-Darajy
University of Baghdad - Center of heritage

Abstract
The researcher tried to concentrate on the field study included many houses for the sake of documenting it by pictures and schemes with its history using the available data that had got from elderly whereas the rest of heritage will document in other research , in God willing .
The research confined on the studying of examples heritage houses which was some of them had built at the end of 19th century AD but, other of them had built on the beginning of 20th century . In spite of considering these buildings are important and as a sign to architect art of Jubba but, there is never full studying written about them in Western city .
The importance of this study lies on documenting sides of environmental and climatic progress which Iraqis had depended on to build houses according to this systems .
The benefit of this study is to emphasize the identity of the Iraqi architecture its application intended to organize weather inside building blocks which were suitable to human's nature in every season .

(الصورة ١) جزيرة جُبّة من الضفة الغربية(امثلة من البيوت التراثية في مدينة جُبّة)

المقدمة

تهيأ للباحث في صيف عام (٢٠١٤م) فرصة المكوث في مدينة (جُبّة) أياما معدودة، وثق أثنائها بعض الابنية التراثية المهمة في المدينة خوفا عليها من الهدم أو التغيير الذي يصيبها عادة بفعل التقادم وعوامل الطبيعة والإهمال. فضلا عن التطور العمراني والتوسع المحدود الذي شهدته المدينة في السنوات الأخيرة، والذي تطلب هدم بعض المنشات التراثية بمسوغ تحديثها. مما أستوجب احيانا التخلي عن الطين والحجر كلا أو جزءا والاعتماد على الاسمنت والحديد. ناهيك عن الحروب التي أودت بمعالم لا حصر لها في المنطقة الغربية ويكفي ان نشير هنا الى مئذنة عنه التاريخية[١]، ومئذنة جُبّة التي أزيلت مع الجامع في ٢٧. ٢. ٢٠١٥م[٢]. وابرز المنشات التراثية فيها، النواعير التي اضحت معطلة على شواطئها، مع ضريح وعددٍ من البيوت المهدمة، فضلا من مئذنة جامعها العتيق.

ودرءاً للاسهاب، أقتصر البحث على دراسة امثلة من البيوت التراثية، بعضها مبني على الارجح في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبعضها الآخر في بداية القرن العشرين. اذ لم توثق الأبنية القديمة في مدينة جُبّة (على حد علمي) سابقا بدراسة أثرية أو علمية جادة، برغم أهميتها بوصفها جزءاً من الموروث العماري للمنطقة الغربية.

وأهمية الدراسة تكمن في توثيق جوانب من المعالجات البيئية والمناخية التي اعتمدها المعمار العراقي في بيوت السكن، إذ إن صغر المساحات في الوحدات البنائية وطريقة تقسيمها من الداخل وثخن الجدران وطبيعة الحجر بوصفه المادة ألاساس في البناء، فضلا عن طريقة التسقيف بالخشب. من شأنه أن يجعل من عمائر المنطقة الغربية أمثلة رائعة للتغلب على الظروف المناخية القاسية والتقلبات الجوية التي تفرضها الطبيعة في العراق. لاسيما وان أهل هذه الاصقاع هم أكثر من استغل النخلة بفعالية واستفاد من أجزائها في الحياة اليومية.

ومن فوائد البحث هو تأكيد هوية المعمار العراقي الذي ساهم في تطويع المواد وتوظيفها بقصد تنظيم الطقس داخل الوحدات البنائية بما يلائم طبيعة الإنسان وعيشه في جميع الفصول.

لقد حاول الباحث التركيز على الدراسة الميدانية التي شملت عددا من البيوت، من أجل توثيقها بالمخططات والصور، وتوريخها بالاعتماد على ما توافر من معلومات من كبار السن في المنطقة. اما باقي الآثار سوف توثق في بحوث اخرى إن شاء الله.

أهمية مدينة جُبّة وتاريخها

شغلت ضفتي الفرات وفي الجزر التي تتوسط مجراه مدن ومستوطنات وقلاع بعضها عريق في القدم تعود الى العصر الاشوري، وبعضها الآخر كانت مراكز على التخوم الساسانية والرومانية. وجميعها تقع على طريق الفرات الاستراتيجي الممتد بين العراق والشام، وجدت بدوافع سياسية وعسكرية وتجارية. ومعظم هذه المدن والحواضر أندثرت واصبحت اطلال ودوارس، والقليل منها مازال مستمرا، انتعش بسبب استقرار العشائر المحيطة بهذه المستوطنات ومزاولتهم الزراعة[٣]. لاسيما في عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) الذي نشر مبادئ الاصلاح في بعض المجالات الاقتصادية والادارية والعمرانية بصورة فعلية. وقام بتوزيع الاراضي على العشائر بقصد استقرارها والاهتمام بالري والزراعة. فتأسست مدن جديدة مثل الرمادي والناصرية، وأنتعشت أخرى قديمة ومنها مدن الفرات الواقعة على الضفة اليمنى بوصفها محطات على طرق القوافل.

يذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) ان في وسط الفرات جزر قامت عليها مدن وقرى محصنة معروفة في عصرنا أشهرها عنة والحديثة وآلوس. وأخرى لم يبق منها إلا اسمائها القديمة، مثل التغني والعبدلية والنهية والخزانة.... وقد وصف هذه القرى بانها حسنة ذات شجر ومساكن وجوامع يطوف بها خليج من الفرات، وهي غنية بالنخيل والكروم[٤].ويكتب الهمداني (ت٥٨٤هـ) جُبَّة بعد الجيم المضمومة باء موحدة مفتوحة مشددة، وهي في عصره من اعمال مدينة السلام، وينسب اليها أبو الحُسين أحمد بن عبد الله[٥]، أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) فيذكر ان جُبّى التي تكتب بالألف المقصورة، هي لفظة أعجمية، تطلق على قرى ومواضع كثيرة، منها قرية من عمل خوزستان، وأخرى في طرف البصرة والاهواز من اعمال البصرة، والاسم نفسه يطلق على قرية من أعمال النهروان. وجُبى أيضاً: قرية من قرى هيت، منها ابو عبد الله بن أبي العز بن جميل المولود بقرية جبى، وفد بغداد صبيا واستوطنها، وتولى فيها أعمال ومناصب حتى وفاته في عام

---

١ ـ من أقدم المأذن في المنطقة الغربية يعود بنائها الى القرن الخامس الهجري، نقلت من مكانها الأصلي في الجزيرة وسط الفرات الى عنه الجديدة في عام ١٩٨٩، وهي فريدة الطراز لانها تختلف في تصميمها عن المأذن العراقية. وللأسف طالتها أيدي الأرهابيين فحولتها إلى كومة من الأنقاض آثر تفجيرها في ١٧. ٦. ٢٠٠٦.

٢ ـ مئذنة جبة اسطوانية تقوم على قاعدة مربعة تشبه مئذنة هيت تقريبا، مبنية على الارجح في القرن التاسع عشر. هدمت أو نسفت عمدا مع الجامع على أيدي العصابات الارهابية في ٢٠١٥.٢.٢٧م. وقد يسر الله لنا توثيقها قبل هدمها بشهور وتعزيز ذلك التوثيق بالرسوم والصور.

٣ ١ـ عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٧، ص١٠٩.

٤ ـ ابن حوقل، ابي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٩٩.

٥ ـ الهمداني، ابو بكر محمد بن موسى، الاماكن او ما أتفق لفظه وأفترق مسماه في الامكنة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ، ص١٩٢.

٦١٦هـ[٦].ويصف أبن عبد الحق البغدادي (تـ ٧٣٩هـ) جُبّه فيقول: جزيرة من جزائر الفرات ببلد هيت[٧]. ويكتبها كما تلفظ اليوم بالتاء المربوطة.

أذن جُبّة من الحواضر العريقة في القدم، نشأت وسط الفرات على جزيرة صغيرة محصنة، لذلك تصنف عند الجغرافيين بأنها من المدن النهرية ذات الموقع الجزري. وأهميتها تاتي من موقعها على الطريق البري المُتخذ في العهد العثماني للسفر الى العاصمة استانبول. فالسفر من بغداد الى بيروت يكون عن طريق ابو غريب ـ الصقلاوية ـ الرمادي ـ هيت ـ جبة ـ حديثة ـ الفحيمي ـ عنة ـ النهية ـ القائم ـ البو كمال ـ الصالحية ـ الميادين ـ الدير ـ تدمر ـ دوما دمشق ـ زحلة ـ بيروت. ثم الابحار الى استانبول[٨]. لذلك انشئت على هذا الطريق، الذي لا يبتعد كثيراًعن الضفة اليمنى لنهر الفرات، سلسلة من الخانات لأستراحة القوافل وتأمينها، ومنها خان بالقرب من جُبّة يعرف بخان البغدادي[٩] نزلت فيه (مس بيل) في اذار عام ١٩١١م وكان الخان حديث البناء عمره آنذاك أربعة أشهر فقط[١٠]. وخان آخر في كل من الفلوجة والرمادي وهيت والفحيمي وعنه والقائم. وقد وصفت هذه الخانات التي ازيلت في عصرنا بانها مؤسسات أنشأتها الحكومة العثمانية على شكل حصون انتشرت على طرق المواصلات المهمة بين الشام وبغداد لحماية القوافل المارة من اللصوص وتامين راحتها داخل أسوارها العالية وأبوابها المحكمة بالسلاسل[١١]. ومن الملاحظ أن هذا الطريق لم يتغير منذ العصور القديمة السومرية والأكدية والبابلية والأشورية والأخمينية والساسانية والفرثية.

كما يوجد طريق اخر اكثر امنا يصل الى الشام عبر الفرات وصفه عبد الباقي الألوسي عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م. والسفر كان بوساطة سفن عثمانية تنطلق من الصقلاوية تسمى (وابور)، وهي محدودة السرعة تصل عنة بثمانية ايام. مرورا بالرمادي وهيت وجُبة وألوس وحديثة. وبعد ان تستريح يوما في عنة تنطلق الى الدير ثم قرية مسكنة ومنها برا الى حلب[١٢]. وقد أصبح هذا الطريق المعروف منذ القدم اكثر استخداما في القرن التاسع عشر الميلادي من الطرق الاخرى لتوافر الحد الادنى من الامن فيه. وبفضل تطور صناعة السفن واستقرار خطوط الملاحة، وتنامي سلطات المدن في العراق في هذه الحقبة[١٣].

لقد وصف الرحالة كلارك (Clark) جبّة وبيوتها، وذلك في مطلع عام ١٨٨٩م، وكان قادما مع قافلة من سوريا يريد بغداد، وقال بانها تشبه ألوس وحديثة، وقد لفت انتباهه كثرة نخيلها الباسقة على بيوتها المبنية بالطين، والتي أضفت على الجزيرة نوعا من الجمال والرومانسية. وقد وثق كلارك ــ الذي قضى ليلة شتاء باردة في البغدادي ــ معلومات مهمة عن المنطقة أستقاها من السكان المحليين ومنها على سبيل المثال؛ ان معظم المدن الصغيرة في الجزر الفراتية كانت قد تعرضت الى الغرق بسبب فيضان عام ١٨٨٨م ومنها جبة وتلبيسي حيث هرب السكان بعد غرق منازلهم الى التلال العالية التي تطل على مجرى الفرات. كما اشار الرحالة الى بقايا تحصينات جبة القديمة وهو يعتقد بانها تعود الى العصر الساساني[١٤].

---

[٦] ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، دار صادر و دار بيروت، بيروت، د.ت، ص٩٧.
ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ، ص١٠.

[٧] ـ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع، ج١، بيروت ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ص٣١٣.

[٨] ـ اللحافي البغدادي، رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، المورد، م١٨، العدد٤، ١٤١٠ـ١٩٨٩م.

[٩] ـ البغدادي: ناحية تابعة اداريا اليوم الى قضاء هيت وتقع الى الشمال الغربي منها بحدود ٥٠كم. وتعد من المحطات المهمة على طريقي المواصلات (البري والنهري). وكانت في أواخر العصر العثماني محطة مهمة للبريد بين الشام وبغداد، لذلك أنشئ فيها خان كبير عام ١٩٠٨م لاستقبال القوافل عرف بخان البغدادي أو خان الشابندر. وقد استعمل مركزا للشرطة في العهد الملكي، ثم أزالته قبل وزارة الاسكان في ستينيات القرن الماضي لتقوم محله دائرة الطرق والجسور ملحقا بها مجموعة من البيوت السكنية مخصصة للموظفين. وقد وصف كبار السن من اهل المنطقة الخان بانه مستطيل الشكل مبني بالحجر والطين وسقفه جوائز من جذوع النخيل وجريدها فوقها طبقة من الطين. يتوسطه صحن واسع كان موظفا لربط الخيول، وحول الصحن من بعض الجهات اصطبلات على شكل قاعات كبيرة، فضلا عن مخازن للأعلاف وعددا من الحجرات. (قام الباحث في ١٢ .٨ . ٢٠١٤م بزيارة موضع الخان ولم يجد شيئاً من أثاره). أنظر: طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الأثار والحضارة، الرحلة الاولى، وزارة الارشاد، بغداد، ١٩٦٢م، ص١٨.

[١٠] ـ مس بيل، من مراد الى مراد، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ١٩١٣،ص١٢٤.

[١١] ـ The National Geographic Magazine, Vol : XXVI, July-December, 1914, P. 586.

[١٢] ـ عبد الباقي الالوسي، الروضه اليانعة في بيان السفرة الرابعة ، السفرة الخامسة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، المركز الوطني للمخطوطات ، المخطوط بدون ترقيم الصفحات

[١٣] ـ اللحافي البغدادي، رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، (تعليق المحقق)

[١٤] ـ Clark. E .W, Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, Vol.1, Newyork, 1897,P. 159.

ويبدو ان جُبّة لم تكن في نظر العثمانيين سوى ناحية نائية على ضفاف الفرات ووسطه، لذلك ظلت مهملة طيلة الوقت ولم يكن فيها مركز اداري يسهم في تطورها كما هو الحال في الرمادي والفلوجة. فالسالنامات العثمانية الصادرة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي التي هي بمثابة التقويم السنوي للدولة، تؤكد أن الحديثة وآلوس وجُبّة نواحي تشترك بأدارة واحدة يديرها في عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م مدير يدعى أمين بيك، وهي تابعة الى قضاء عنه المرتبط بسنجق بغداد[١٥]. وبعد سنوات قليلة تغير ألامر، فأصبحت الحديثة ناحية مستقلة لها مدير وكاتب في حين بقيت آلوس وجُبة ناحية بادارة مشتركة يديرها شخص يدعى محمد اغا[١٦]. تابعة الى قضاء عنه طبعا، وإدارة القضاء تتألف من القائمقام ونائبه ومدير المال وكاتب التحريرات، وأمين الصندوق، والمفتي. وفي قضاء عنه مجلس إدارة يتألف من أربعة موظفين ومعهم أربعة اعضاء من الأهالي منتخبين، وفيها دائرة بلدية[١٧].

وعلى الرغم من التطورالذي شهدته التقسيمات الإدارية لمدن العراق خلال الحكم الملكي، الا ان بعض مدن الفرات أخذت بالتراجع ومنها جُبّة التي أصبحت قرية تابعة إلى ناحية حديثة المرتبطة أداريا مع ناحية القائم بقضاء عنه[١٨].

أمثلة من البيوت في مدينة جُبّة:البيت رقم (١): (المخطط ـ ١)

(المخطط ـ ١) أحد البيوت الكبيرة / رسم الباحث

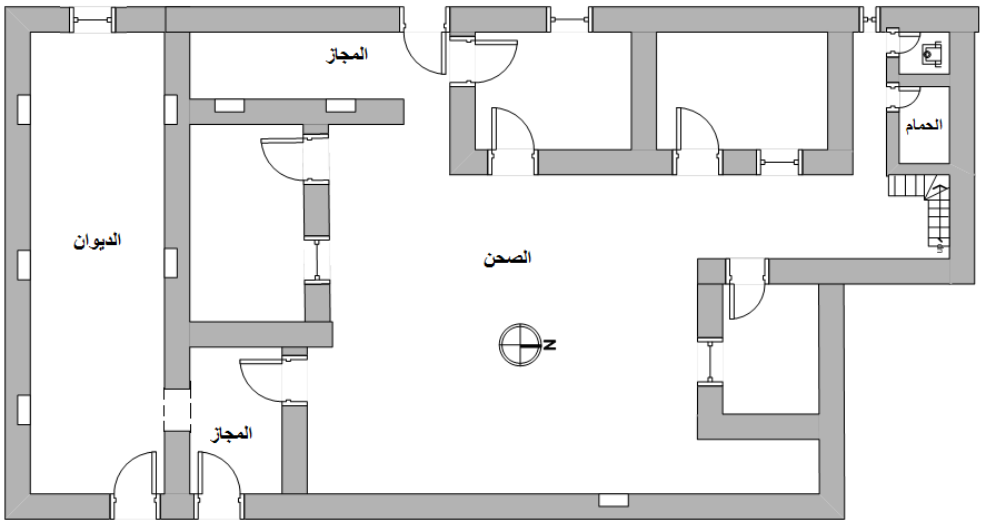

يعد من البيوت ذات المساحات الكبيرة، ويقع قبالة الجامع العتيق، يطل على ثلاثة أزقة تحده من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية، لذلك جعل له ثلاثة مداخل خارجية أحدها مخصص للضيوف يؤدي الى الديوان مباشرة، والآخران يقودان الى الصحن عبر مجازين.

إن تخطيط هذا البيت تقليدي، يتوسطه صحن واسع تحيط به وحدات بنائية ذات استعمالات مختلفة، وقسم الضيافة أو الديوان معزول تماما على شكل حجرة واسعة لها باب خارجي مفتوح على زقاق غير واسع يحد البيت من الجهة الشرقية، والديوان متصل بالبيت عبر مدخل متوج بعقد.

البيت اليوم عبارة عن كومة من الانقاض، تهدمت معظم حجراته، ولم يبق منه قائما سوى القاعة المخصصة لاستقبال الضيوف وهي بدون سقوف، فضلا عن الحمام والكنيف، اما الحجرات فقد تهدمت واصبحت اطلال استطعنا متابعة اسسها واخذ قياساتها عند رسم المخططات.

ويبدو ان الجناح الجنوبي من البيت كان بطابقين، اذ تؤكد بقايا الجدران واثار الجوائز الخشبية على وجود غرفة واسعة كانت مبنية فوق الديوان (الصورة ـ ٢)، لعلها معدة لاقامة الضيوف. حيث جرت العادة في المنازل الكبيرة ان يبنى الديوان بطابقين الارضي لعقد الجلسات والمناظرة واحتساء القهوة والشاي، والعلوي لاقامة الضيوف وراحتهم. وأحيانا يستغل العلوي لجلسات الصيف فيزود بنوافذ مفتوحة على النهر من كافة الجهات. وقد أقتصر بناء الطابق العلوي على اللبن ومعه الطين كمادة رابطة، وسقفه مستوي من الخشب.

وتهوية الديوان واضاءته اعتمدت على ١٣ نافذة مفتوحة في أعلى الجدران (الصورة ـ ٣)، توزعت على مسافات متساوية بعضها مفتوح باتجاه الصحن وبعضها الآخر يطل على الخارج، والنوافذ صممت على شكل فتحات شاقولية تشبه المزاغل

---

[١٥] ـ سالنامة، ١٢٩٤هـ،

[١٦] ـ سالنامة، ١٢٩٩هـ، دفعة ٣.

[١٧] ـ سالنامة، ١٣٠١، دفعة ٥.

[١٨] ـ عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م، ص٢٤١.

ابعاد الواحدة يربو على (٦٠×٢٥سم). كما زود الديوان بستة كوى على شكل حنايا صماء مستطيلة (٨٠×٦٠سم). وهي تشترك مع النوافذ في العديد من الفوائد سوف نأتي على ذكرها لاحقا. والاعتاب العليا للنوافذ والحنايا اغصان غليظة من أشجار التوت.

ان اجمل ما في تخطيط هذا البيت هو محاولة جمع الوحدات الخدمية من مطبخ وحمام وكنيف في الجناح الشمالي ومعهما الدرج، ولا شك ان تقاربهما يُسهل عمل النساء وخدمتهن المنزلية. كما يُسهل عملية تنظيم المجاري وترتيبها باتجاه البالوعات.

(الصورة ـ ٢) جانب من البيت ومعه الديوان

وبشان الحجرات فقد زودت بنوافذ وابواب تنفتح على الصحن مباشرة دون رواق (الصورة ـ ٤)، وهي صغيرة المساحة طولها يتناسب مع عرضها الذي لا يزيد على ثلاثة امتار، وجميعها مغطى بسقوف مستوية من الخشب.

(الصورة ـ ٣) الجدار الجنوبي للديوان

وللحجرات مداخل متوجة بعقود نصف دائرية مبنية بالحجر تخفي ورائها، ابواب من مصراع واحد. ومن الملاحظ ان بعض العقود التي تعلو فتحات المداخل معمولة بالجص ومنفذة بطريقة الصب بالقالب. كما يتضح ذلك جليا من اثارها الباقية بحالة جيدة، ولتسهيل صب العقود ورفعها عاليا فوق الفتحات جعلت من قطعتين ألتحمتا أثناء البناء. ولضمان تحمل العقود للاثقال التي تعلوها تم تسليحها باغصان الاشجار.

(الصورة ـ ٤) صحن البيت والحجرات المهدمة

البيت رقم (٢): (المخطط ـ ٢)

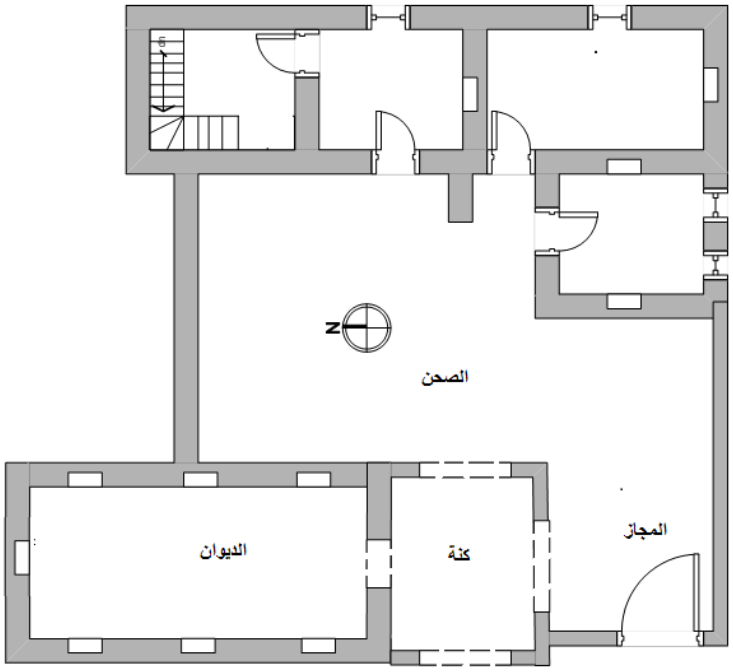

(المخطط ـ ٢) أحد البيوت المتوسطة / رسم الباحث

يقع هذا البيت بجوار الاول وهو مهدم باستثناء الديوان وبعض جدران الحجرات(الصورة ـ ٥). يتألف من صحن مكشوف تحيط به من الجهة الشرقية ثلاث حجرات ودرج ومن الجهة الغربية ديوان كبير. مبني بالحجارة غير المنحوتة والطين وجدرانه مكسية بطبقة من الجص.

للبيت مدخل واحد يؤدي الى مجاز منكسر يقود الى صحن تراكمت فيه الانقاض بشكل لافت للنظر فاختفت من جرائها بعض الاسس.

ومن المفيد ذكره ان المجاز المنكسر يحقق غرضا اجتماعيا يتلائم مع التقاليد والقيم الإسلامية إذ يمنع عابري السبيل من رؤية من في الداخل فيحفظ للبيت حرمته ويكفل لساكنيه قدرا كبيرا من الخصوصية[١٩]، فضلا عن فوائد أخرى منها التخفيف من سرعة تيارات الهواء القادمة من الخارج نحو الصحن، وتوفير الهدوء عن طريق التخفيف من ضوضاء الشوارع

.

(الصورة ـ ٥) جانب من البيت مهدم

(الصورة ـ ٦) الكنة التي تتقدم الديوان

[١٩]- سليمة عبد الرسول، المباني التراثية في بغداد، دراسة ميدانية لجانب الكرخ، المؤسسة العامة للآثار والتراث، (١٩٨٧م)، ص٢٥.

مازال ديوان هذا البيت بحالة جيدة مبني على شكل حجرة ابعادها (٧.٧٠م×٣م)، يتقدم مدخله كنة[٢٠] ليس من اصل البناء بل مضافة لاحقا كما يبدو من بعض الفواصل أو الكسور التي تميز عادة بين الاصيل والمضاف. والكنة مفتوحة من كل الجهات بعقود واسعة مدببة الشكل، توزعت بين كوشاتها نوافذ شاقولية تشبه المزاغل. (الصورة ـ ٦)

وللديوان مدخل واسع يتوسط ضلعه الجنوبي متوج بعقد مدبب يتناغم مع عقود الكنة، وقد زود الديوان بحنايا صماء بلغ عددها سبعة واحدة تتوسط الضلع الجنوبي وثلاثة في كل من الضلعين الشرقي والغربي متناظرة. وهذه الحنايا متوجة بعقود جصية نصف دائرية عملت بالقالب وقويت بأغصان رفيعة (الصورة ـ ٧).

والحقيقة ليس في عمارة الديوان ما يستحق الذكر، باستثناء النوافذ الشاقولية (٢٥×٥٠سم) وعددها خمسة عشر وموضعها تحت السقف بقليل. اما سقوف هذا البيت فمن اثارها يتبن انها كانت مستوية مرفوعة على جذوع النخيل يعلوها جريد فوقه حصير مطرورة من الاعلى بالطين.

(الصورة ـ ٧) الديوان من الداخل

البيت رقم (٣): (المخطط ـ ٣)

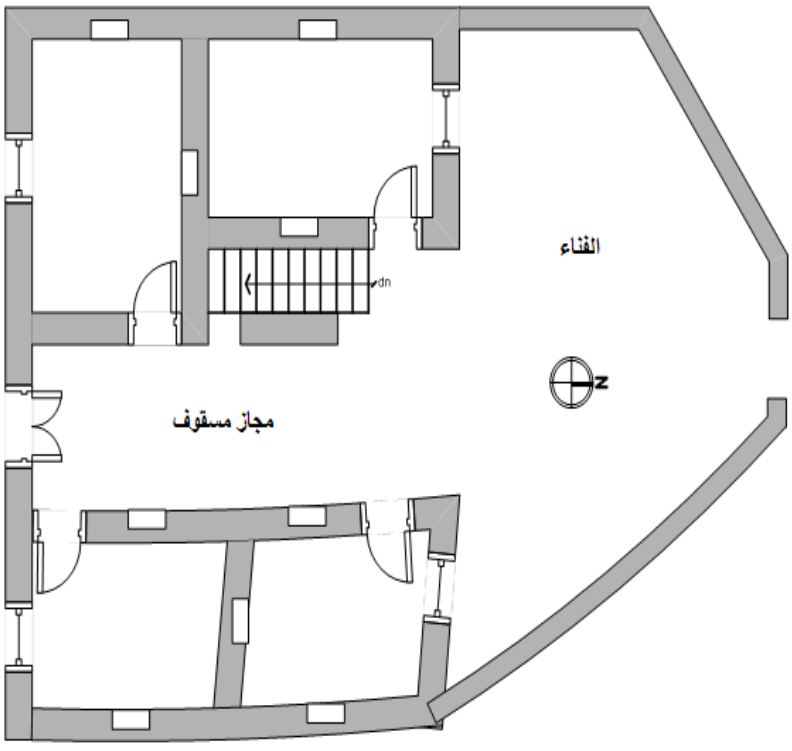

(المخطط ـ ٣) أحد البيوت الصغيرة / رسم الباحث

[٢٠] ـ الكنة: في اللغة سقيفة تشرع فوق باب الدار وجمعها كُنات. إبن سيدة، المخصص، ج٥، المطبعة الكبرى، مصر، ١٩١٨، ص١٣٣. والكنة عند أهل الآثار حجرة مربعة الشكل تعلوها قبة مقامة فوق عقود ترتكز على دعامات أو أعمدة، تقام أمام المدخل لحمايته من أشعة الشمس أو الأمطار. وقد شاع هذا الطراز في الأقطار التي خضعت للسيطرة العثمانية.

تخطيط هذا المنزل بسيط للغاية يضم اربع حجرات بينها مجاز، وله من الناحية الخلفية فناء مكشوف[٢١] وبنائه متأخر.

للبيت واجهة بسيطة (الصورة ـ ٨) بلغ طولها ١١.٤٠م، يتوسطها مدخل البيت الرئيس وعلى جانبيه نافذتان وجدت لإدخال الضوء والهواء الى الحجرات.

يقود المدخل الى مجاز (٨.٥م ×٢.٧٠م) مغطى بسقف مستوي من جذوع النخيل وجريدها، وفي داخل المجاز درج يقود الى السطح تهدم نصفه العلوي ولم يبق منه سوى خمس درجات (الصورة ـ ٩). وعلى يمين الداخل الى المجاز ويساره اربع حجرات متشابهة بالشكل ومختلفة بالقياسات مبنية بالحجر غير المنحوت والطين ومجللة من الداخل والخارج بالجص.

(الصورة ـ ٨) واجهة البيت

ومن الطبعي ان تزود الحجرات بنوافذ تنفتح على الخارج لصغر مساحة البيت وخلوه من الصحن. كما زودت الحجرات بحنايا صماء مستطيلة الشكل توزعت في جميع الحجرات وكذلك في المجاز لفائدتها القصوى كما اسلفنا. (الصورة ـ ١٠) زود البيت بفناء على شكل ساحة في نهاية البيت خالية من البناء ليس فيها سوى نخيلات. لعلها استعملت مربط للحيوانات.

(الصورة ـ ٩) الدرج

(الصورة ـ ١٠) الحنايا في المجاز

أما الوحدات الخدمية من كنيف وحمام ومطبخ، فلا يوجد ما يؤكد وجودها وعلى الارجح كان الكنيف مرتبا تحت درج البيت حيث توافر مكان لذلك، وقد أزيلت معالمه بسبب عمليات الدفن. أما الحمام والمطبخ فلا يوجد دليل على وجودهما.

ومن المفيد ذكره ان هذا البيت التراثي متاثر بالطرز الغربية التي سادت مدننا في النصف الاول من القرن الماضي، ومع ذلك آثرنا دراسته لان تخطيطه يختلف عن تخطيط البيوت الاخرى بوصفه مغلق أي بدون صحن، وتسوده البساطة، أما سقفة فلا يختلف عن السقوف في البيوت موضوع البحث وجميعها مستوية من الخشب كما سياتي تفصيله.

[٢١] - يفرق اللغويون بين الصحن والفناء والاخير عندهم ساحة تتقدم الدار، في حين يُعرف الصحن بأنه ساحة تتوسط الدار.

البيت رقم (٤): (المخطط ـ ٤)

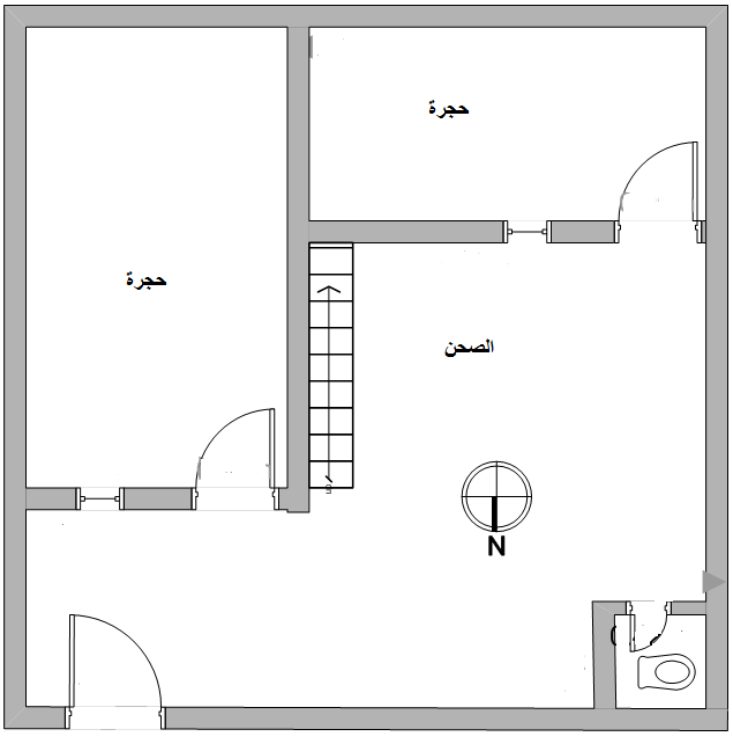

(المخطط ـ ٤) بيت صغير / رسم الباحث

يعد هذا التصميم الأكثر انتشاراً بين البيوت في جبة وغيرها من مدن الفرات؛ لبساطته وفاعليته وسهولة بنائه؛ وقوام التصميم صحن مكشوف تنفتح عليه حجرتان وفي الصحن درج يقود الى سطح البيت وكنيف. اما واجهته فتخلوا من الفتحات سوى المدخل الذي يقود الى الصحن.

ومن الملاحظ إن هذا النوع من البيوت يخلو من عنصر الحمام كما يخلو من المطبخ، والطبخ غالبا ما يكون في أحد جوانب الصحن، أما الاستحمام فيكون داخل الحجرات وسط طست كبير من النحاس. أو يكون الاستحمام في الكنيف الذي يحتل أحد أركان الصحن لإستبعاد الروائح الكريهة ولتسهيل حفر البالوعة والتي تكون عادة خارج البيت في الزقاق المجاور.

أما الحجرات فهي مستطيلة الشكل ومسقفة بجذوع النخيل وجريدها كما في البيوت السابقة، مبنية بالحجارة والمادة الرابطة هي الطين، أو اللبن والطين، وفي الغالب تجلل جدرانها من الخارج والداخل بالجص. وفي حالات قليلة بالطين. (الصورة ـ ١١)

(الصورة ـ ١١) أحدى الحجرات

اساليب التسقيف

إن المتجول في جزيرة جبة اليوم يشاهد عدداً من البيوت المهدمة أنتشرت بين أزقتها، وفيها بعض الحجرات التي أستعملها بعض الساكنين هناك اسطبلات لإيواء الاغنام، بعد أن هجرها أهلها وبنوا بيوتا حديثة الطراز توزعت على ضفتي النهر، او على الهضبة القريبة.

ولحسن الحظ إن بقايا هذه البيوت التراثية ما زالت تحتفظ ببعض سقوفها القديمة التي تتمتع بقدرتها على العزل الحراري ومقاومتها للرياح والرطوبة، ومعظمها مغطى بالخشب والقليل منها بالاقبية. إذ يكون إختيار أشكال السقوف بناءً على معرفة مسبقة بمعدل الأمطار الساقطة سنويا، وتأثير الرياح، والتباين في معدلات درجات الحرارة. ويمكن حصر أساليب التسقيف في بيوت جبة بالانواع الأتية.

١ـ أسلوب التغطية بالسقوف المستوية:

وهو من أكثر الأساليب شيوعا في العمارة التراثية، والسبب في ذلك ربما يعود إلى سرعة عمله وسهولة تنفيذه ورخص المواد المستعملة في بنائه فهو الأوفر من الناحية الاقتصادية، والخشب مطاوع لتنفيذ الأعمال الفنية والزخرفية، فضلا عن ملائمته لواقع المناخ في العراق ومن خصائصه الإنشائية القوة والمتانة وخفة الوزن لمراعاة تقليل الأثقال على الأسس.

ويمكن حصر هذا الأسلوب من التسقيف المعتمد في بيوت جبة بثلاثة انواع: الأول يقتصر على عناصر النخلة او اجزائها (الصورة ـ ١٢)، وابرزها الجذوع التي تعتمد جوائز يستند عليها السقف، وهي الاقدم من حيث التاريخ، كانت تستخدم بكثرة لقلة جذوع الاشجار نسبياً وعدم توافر الغابات في هذه الاصقاع. وهي أقل جودة طبعاً من الأخشاب الأخرى لهشاشة أليافها وقلة تحملها للأثقال، فضلاً عن صعوبة تقطيعها وبساطة مظهرها.

(الصورة ـ ١٢) سقف من جذوع النخيل وجريدها

إن التسقيف بجذوع النخيل يتطلب من العاملين بذل جهود شاقة في هذا الميدان، حيث يقطع الجذع طولاً بوساطة الفؤوس إلى جزئين او ثلاث متساوية بالثخن تقريباً. لتصبح جوائز يتم توزيعها بأبعاد مناسبة فوق الجدران، ويراعى في ذلك قرب المسافات بينها كي تتحمل الأثقال المسلطة عليها من الأعلى، وحساب المعمار الإسلامي للاثقال قديماً تُدرك من خلال خبراته المتوارثة، ومعرفته بنوع الأخشاب المتوافرة ومقدار مقاومتها للظروف المناخية والحشرات والكوارث الطبيعة.

ولما كان تحمل جذوع النخيل للأثقال محدوداً، فمن البدهي أن تصبح الفضاءات المراد تسقيفها بهذا النوع من الجوائز غير واسعة، ولهذا السبب نلحظ أن معظم الوحدات البنائية التي قامت عليها الدراسة لا يزيد عرضها عن ثلاثة أمتار. حيث يتجنب المعمار اقامة حجرات واسعة خوفا من سقوطها.

تغطى الجذوع بالجريد حيث يُشد بعضه إلى بعض بوساطة خيوط قويـة من الصوف، ولمنع سقوط التراب إلى الداخل وضمان العزل الحراري يفرش فوق الجريد حصير مصنوعة من الخوص (الصورة ـ ١٣)، بعدها يطر السطح بالطين المخلوط بكمية مناسبة من التبن. وأحيانا تكسى السطوح بطبقة خفيفة من الجص وذلك لمنع تسرب مياه الأمطار إلى الداخل. حيث لم يكن لمادة القير نصيب في المباني التراثية في جبة.

(الصورة ـ ١٣) حصير فوق الجريد

لقد لوحظ أثناء الدراسة الميدانية ان جذوع النخيل احيانا تقطع على شكل الواح، كي ترصف متجاورة تقريبا فوق الممرات والوحدات البنائية ذات الفراغات المحدودة نسبيا مثل الحمامات والكنيفات والحجرات الصغيرة. وفي هذه الحالة يستغني المعمار عن الجريد، ويكتفي بفرش حصير من الخوص، يعلوها طبقة من الطين. (الصورة ـ ١٤)

(الصورة ـ ١٤) ألواح من جذوع النخيل

أما النوع الثاني من التسقيف بالسقوف المستوية فيعتمد على جوائز من جذوع الاشجار، إذ تكثر في المناطق الغربية زراعة شجرة التوت والمشمش، فتعتمد في بناء هياكل النواعير، لصلابتها وقوة تحملها وقابلية اليافها على مقاومة الرطوبة المرتفعة بحكم عملها داخل الماء. فضلا عن جذوع شجر الصفصاف والصنوبر والاثل.

يرصف الجريد بعناية فوق الجوائز ويربط بخيوط قوية كما اسلفنا في الطريقة الاولى ، بعدها تفرش حصير من الخوص ثم يطر السطح بطبقة من الطين.

(الصورة ـ ١٥) جذوع من اشجار محلية

اما النوع الثالث من السقوف المستوية فيعتمد على جوائز خشب فخمة دائرية المقطع تعرف في العراق بـ (القوغ) تمتاز بانتظام شكلها واستقامتها وخفة وزنها، ترصف بأبعاد مناسبة كي تتحمل ثقل السقف المسلط عليها من الأعلى. وتعلو الجوائز أحيانا اعواد من الجريد تتوزع على مسافات متساوية لضمان استواء

الحصير فوقها. والحصر في هذه الطريقة مصنوعة من شرائح القصب والمعروفة محليا باسم (بارية)، وقد جرت العادة أن تفرش الحصر بطبقتين لضمان عدم نزول التراب الذي يعتليها إلى داخل الوحدات البنائية، والحصر في معظم الأحيان تكون كبيرة الحجم كي تغطي مساحات واسعة من السقف. وطبعي أن تحمل الحصر فوقها أولا طبقة بسيطة من الطين الناعم لسد جميع الفراغات والمسامات، ثم تأتي فوقها طبقة من التراب لا يقل ارتفاعها عن ١٠سم، وتعلو الأخيرة طبقة من الطين المخلوط بمادة مقوية كالتبن أو القش.

(الصورة ـ ١٦) التسقيف بالقوغ والبارية

ومن الملاحظ ان خشب القوغ والبارية[٢٢] المصنوعة على شكل حصير من شرائح القصب لم تعتمد في تسقيف البيوت القديمة المبنية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وانتشارها في جُبة كان في البيوت الحديثة المبنية في منتصف القرن الماضي. (الصورة ـ ١٦)

٢- التسقيف بالأقبية والقباب:

يعد أسلوب التغطية بالأقبية من الأساليب الإنشائية في العمارة العراقية القديمة والإسلامية على حدٍ سواء، والسبب في ذلك يعود إلى وفرة المواد الأولية وسهولة الحصول عليها وندرة الأخشاب الطويلة محليا، فضلا عن متانة القبو وقدرته على تحمل الأثقال وفاعليته في ربط وتثبيت أجزاء البناء.

(الصورة ـ ١٧) بيت مسقف بالأقبية

[٢٢] - من المفيد ذكره إن أشجار القوغ تزرع في المنطقة، أما البارية المصنوعة من شرائح القصب فتنقل من المحافظات الجنوبية حيث تنتج هناك بشكل واسع لتوافر المادة الاولية هناك.

والى جانب ذلك فان استخدام القبو يعد من المعالجات العمارية التي تتلاءم مع المناطق الحارة بوصفه يبنى بمواد لها قدرة على العزل الحراري مثل اللبن والحجارة والآجر.

(الصورة ـ ١٨) قبو في ضريح الشيح حمد

وتعتمد طريقة بناء الأقبية في جُبة على اللبن والحجر والمونة المتمثلة بالجص أو الطين أو كلاهما معا(الصورة ـ ١٨)، وعلى الأرجح أن تقنية بناء الأقبية تتم بالطريقة التقليدية دونما قالب، وسطوحها تكون عادة مستوية حيث تملا الفراغات بالتراب أو المواد الخفيفة الوزن لتخفيف الضغط على الأسس. ولا شك أن الشكل المستوي للقبو من الخارج يلبي حاجة الساكنين في الاستفادة من أسطح منازلهم في بعض مجالات الحياة اليومية أو حتى في زيادة التوسع العمودي في البناء[٢٣].

لقد تبين من خلال الدراسة الميدانية، أن استعمال القبو في بيوت جبّة كان نادراً، وقد توافر في البيوت الاقدم عهدا والمبنية في أوائل القرن التاسع عشر. والاقبية المعتمدة في عمائر جُبة مدببة اعتلت بعض الوحدات ومنها المجاز أو الحجرات. كما يوجد بقايا قبو مدبب في ضريح السيد حمد والمبني على الضفة اليسرى من نهر الفرات، فوق تل مرتفع يشرف منه على جبة وجزيرتها. والضريح قبل تهديمه كان متوجا بقبة كبيرة مبنية بالحجر غير المنحوت والجص، حيث مازالت بقايا الحنايا الركنية شاهدة على سعة القبة وارتفاعها وهو أقدم بناء إسلامي ما زال قائما في جبّة. (الصورة ـ ١٩)

(الصورة ـ ١٩) القبة فوق الضريح

ـ المعالجات البيئية والمناخية في عمائر جُبة:

لما كانت الصفة الأساسية للمناخ السائد في جُبة هو ارتفاع درجات الحرارة في بعض أيام الصيف إذ تقترب من الخمسين درجة مئوية، مع رطوبة عالية بفعل موقعها على جزيرة تتوسط نهر الفرات. وتنخفض في فصل الشتاء. كما تسودها الرياح الصحراوية المحملة بالأتربة أحيانا وتهطل فيها الأمطار. مما استوجب ذلك معالجات خاصة في المباني ووضع حلول ناجعة لاسيما في بيوت السكن وجعلها تتلاءم مع محيطها وبيئتها.

واولى المعالجات تلك المرتبطة بالتخطيط العمراني، حيث اعتمد توزيع الوحدات البنائية داخل الحارات على نظام البناء المتراص. ويعني تراص الأبنية المتجاورة مع بعضها البعض. وتخطيطها يعد حلاً لمشكلات إنشائية إذ له فائدة في تحقيق خاصية الاتكاء، بقصد الزيادة من تماسك الوحدات البنائية، ليطول عمرها الزمني وتقل تكاليف الصيانة وإعادة البناء. كما يتيح البناء المتراص لجدر المنشآت من زيادة ثخن جدرانها المتجاورة كي تقوى على الزمن. وهذا التلاحم بلا شك يساعد

[٢٣] ـ علي ميلاد جميل، البيوت العربية الإسلامية بالمدينة القديمة طرابلس خلال العهد القرمانلي(١٧١١-١٨٣٥م)، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى جامعة مصراته، قسم الآثار والسياحة – الخمس، (٢٠١٠م)، ص٢١٧.

على حفظ الأبنية من عوامل الطبيعة والتعرية البالغة التأثير أحيانا[٢٤]. فضلا عن أن تراص الأبنية وتجاورها يقلل من الأضرار التي تصيبها بفعل عوامل التجوية (Weathering)[٢٥] على اختلاف أنواعها لاسيما الفيزيائية منها ومن بينها ظاهرة التمدد والانكماش التي تحدث نتيجة تباين درجات الحرارة قي الليل والنهار. ومن فوائد النظام المتراص أيضا توفير عزل حراري بفعل تقليل تعرض جدر المباني وواجهاتها إلى أشعة الشمس بشكل مباشر، ووفرة العزل الحراري من جراء ثخن السقوف المعقودة بالأقبية والقباب، أو المستوية المصنوعة من الأخشاب التي تطر عادة من الأعلى بالطين[٢٦].

ولا شك إن صغر مساحة البيوت وتراصها في مدينة جبة القديمة المتمثلة بجزيرتها، يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية وأخرى دفاعية. فالزائر يلحظ ذلك من خلال الازقة الملتوية، حيث تتوزع البيوت على مساحة صغيرة من الارض محاطة بالمياه من جميع الجوانب. الامر الذي يجعلها في منعة ومامن من اي اعتداء، ولاسيما ان الجزيرة كانت محاطة بسور مبني بالحجر لحمايتها من غزوات البدو[٢٧].

إن من أهم المعالجات التي لجأ إليها المعمار في جُبة هو الاعتماد على الحجر والطين في بناء الجدران. لوفرته وسهولة الحصول عليه وإمكانية قلعه وتكسيره قرب مواقع العمل، وكذلك بسبب ملائمته للظروف المناخية السائدة وخاصيته في العزل الحراري. . لهذا مازال الحجر حتى الوقت الحاضر معتمد في المناطق الغربية بوصفه مادة إنشائية رئيسة تدخل في بناء جميع المنشآت على اختلاف وظائفها. كما استعمل الطين في إكساء السطوح من الأعلى بعد خلطة بمادة مقوية لمنع تسرب مياه الأمطار إلى الداخل. وفي معظم الحالات أستعمل الطين في المباني التراثية كمادة رابطة بدل الجص.

لقد دأب الناس منذ القدم على اختيار مواد البناء المتوافرة في بيئتهم والملائمة في الوقت نفسه لمناخ مدينتهم. لذلك من الطبعي أن تشترك الأبنية القديمة في جُبة بمواد متشابهة لتصبح العمارة فيها عضوية وكأنها من طراز واحد. والمنطقة الغربية عموما غنية بالأحجار الطبيعية والتربة الطينية لذلك تعد مصدراً هاماً لمواد البناء. وقد جرت العادة أن تبنى الجدر الخارجية بالحجارة بثخن لا يقل عن نصف متر لحماية الفراغات الداخلية للمباني من قيض الصيف، والحجر ذات سعة حرارية كبيرة، مما يجعل زمن نفاذ الحرارة من خلاله قد تصل إلى ١٥ ساعة، وهذا يعني أن الحرارة الخارجية سوف تحتاج إلى وقت طويل لتصل إلى الداخل[٢٨]. لهذا نرى إن الوحدات البنائية في العمائر التراثية تتميز بانخفاض درجة حرارتها، نظراً لطبيعة الحجارة وثخنها من ناحية ولونها الأبيض الذي من شانه أن يعكس جزاً كبيراً من الإشعاع الشمسي الساقط عليها أثناء النهار.

وعن طرائق البناء المستخدمة في الأبنية التراثية في جبة على اختلاف وظائفها ومنها مئذنة الجامع وضريح السيد حمد وبيوت السكن فقد اعتمد المعمار على الحجارة غير المنتظمة على اختلاف أحجامها وتباين أشكالها، لاسيما الحجارة الصغيرة التي يعول عليها في ملء الفراغات مع الإكثار من الطين كمادة رابطة. واستغنى المعمار عن الحجر المنحوت حتى في بناء الاعمدة. والحجارة في تلك الاصقاع تهئ قبل البدء في العمل بايام حيث تكسرعلى شكل قطع صغيرة بايدي خبراء ورثوا هذه المهنة ومارسوها سنين طويلة، فينقى الصالح منها لبناء وجهي الجدار والباقي في لبه، مع الاكثار من المونة جص كان ام طين، فتاتي الجدر وكانها صبت بقالب، لمهارة البنائين هناك.

وعلى الرغم من توافر الحجر ورخص ثمنه اعتمد معمار جبة في بناء البيوت على اللبن بافراط، وبقياسات مختلفة بعضها تقليدي متوسط الحجم، وبعضها الاخر كبير (٥٠×٢٥×١٥سم) يُقطع بقوالب بعرض الجدار، كي يرتب على شكل مداميك بالتناوب مع مداميك اخرى من كسر الحجارة مونتها الطين نفسه. واحيانا يكون الاعتماد في بناء البيوت على اللبن فقط. فيقوى بالحصى او القش والتبن أو بدونهما.

ومن الطبعي ان يعد الجص من المواد الاساسية في البناء، وأنواعه كثيرة أشهرها الجص الرمادي الذي يستخدم في أكساء الجدران والسقوف أو كمادة رابطة أثناء البناء. وكانت صناعة الجص ومازالت من الصناعات الهامة في المنطقة بوصفه مادة اساسية في البناء. وقد احترف هذه الصنعة عدد من الأهالي قاموا ببناء أفران انتشرت حول هيت والبغدادي وجُبة أو بالقرب من محاجرها.

---

[٢٤] - هيثم قاسم محمد، حلول البناء في مباني الموصل في العصور الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، مقدمة إلى كلية الآثار / جامعة الموصل، (٢٠١٢م)، ص١٠.

[٢٥]- يمكن تعريف التجوية على إنها مجمل التغيرات الفيزيائية والكيميائية - من تحلل (Decompositionll) وتفكك (Disintegration) - التي تحدث للصخور على سطح الأرض حيث تكون حركة ونقل المعادن والصخور المتحللة والمفككة معدومة أو شبه معدومة. سعدي إبراهيم الدراجي، اثر التجوية على الحجارة المستخدمة في واجهات البيوت التراثية في قلعة اربيل، بحث القي في المؤتمر العلمي الثاني الذي انعقد في أربيل للفترة من ٢٤-٢٦/شباط/ ٢٠١٣م، برعاية وزارة الثقافة والشباب تحت شعار "تاريخ اربيل ودورها الحضاري"، ص ٩٨.

[٢٦] - المرجع نفسه، ص ٩٩.

[٢٧] - خالص الاشعب و عبد الناصر صبري، العمارة السكنية في اقليم اعالي الفرات، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، عدد خاص بندوة تراث وتاريخ الانبار، ٢٠١١، ص١١٤.

[٢٨] - - يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة (٣٠٤)، مطابع السياسة، الكويت(١٤٢٥-٢٠٠٤)، ص١٠٧

وطريقة صناعته تكون بوساطة أفران تقام بالقرب من المحاجر والمحتطب، وتعتمد على إدخال الحجر إلى الأتون لحرقه، وتحت درجات حرارة مناسبة تصل إلى ١٤٠ درجة، إذ تنضج الكتل وتتحول إلى جص بعد أن تدق بمداق الخشب. والحجر المعتمد في صناعة الجص هناك يسمى محليا بـ (الشهل) وهو حجر كلسي يتميز بهشاشتة وبخفة وزنه وكثرة مساماته.

إن معظم الأفران التي تنتج الجص خلال العصر العثماني وبعده كانت بدائية، تبنى على شكل أبراج دائرية مبنية بالحجارة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثة أمتار وقطرها يربو على المترين أو أكثر. وتبدأ عملية إعداد الجص بترتيب كتل الحجارة الجبسية داخل الفرن بشكل هرمي مع الأخذ بنظر الاعتبار ترك منافذ صغيرة بينها كي تصل الحرارة إلى كافة الكتل ومن جميع الجوانب. ومدة بقاء الكتل داخل الفرن ودرجة حرارته تعتمد على خبرة صاحب الفرن (الجصاص)، وقد جرت العادة أن تحرق الكتل لمدة يومين وتستمر حتى تبدأ بالهبوط والتساقط، بعدها تؤخذ لتدق بمداق الخشب والإنتاج يمر على غرابيل للتخلص من الشوائب بعدها يكون صالحاً للاستعمال.

وفيما يخص الوقود المستعمل في إيقاد أفران الجص في جُبة والمناطق التي حولها، فقد اعتمد أصحاب الأفران على ما توافر من شجيرات طبيعية تنمو بكثافة في الجزرعلى ضفتي النهر. ومنها العزب، والصفصاف، والطرفة، والقصب، والحلفا، والشوك والعاقول. وكذلك النباتات الصحراوية التي تنمو خارج نطاق الشريط النهري وتكون مقاومة لارتفاع درجات الحرارة والجفاف. مثل الشيح والكيصوم والطرطيع والقضا والرمث والعرفج[٢٩] فضلا عن سعف النخيل وعقبها (الكرب) وروث الحيوانات.

(الصورة ـ ٢٠) ناعور في جُبّة

واعتمدت النورة[٣٠] مادة اساسية في البناء في اقليم الفرات، وأستعمالها هناك بافراط لاسيما في المناطق المعرضة للرطوبة مثل اسس الابنية وهياكل النواعير المعروفة محليا باسم (دالية النواعير) والتي تبنى بكتل من الحجارة الكبيرة، ويكون جزئها السفلي غاطسا على الدوام بالنهر. وكذلك تستخدم النورة أحيانا في تغطية سطوح المباني على اختلاف وظائفها أو على الاقل حول الميازيب لمنع تسرب مياه الأمطار إلى الداخل. ومن مواصفات النورة القوة وسرعة التصلب ومقاومة الرطوبة بجدارة، لذلك لا غرو أن تهيأ كميات كبيرة منها عند أقامة النواعير والطواحين المائية والابنية الملاصقة للنهر.

---

[٢٩] ـ ناظر عبد الجبار الحديثي، جغرافية مدينة الحديثة وآلوس، ندوة الحديثة وآلوس في الفرات، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٩. ص ٨٤.(مخطوط)

[٣٠]ـ النورة: وهي مادة رابطة قديمة الاستعمال تحضر بإحراق كربونات الكالسيوم($caco_3$) بواسطة فرن حراري دوار تصل حرارته إلى ٩٢٥ درجة، فتنتج النورة أو الجير الحي أو ما يسمى أوكسيد الكالسيوم(cao) .وأفضل مزيج لهذا النوع من المواد الرابطة هو خلط النورة مع الرمل بنسبة ½ ، وإضافة كمية من الرماد. إن كربونات الكالسيوم عندما تكون محتوية على السيلكا (si_2) أو اوكسيد الألمنيوم (AL_2O_3) يكون ناتج الاحتراق نورة ذات قابلية للتصلب تحت الماء وتسمى نورة مائية (Hydraulic Lime). يوسف الدواف، إنشاء المباني والمواد البنائية، مطبعة أوفست الميناء ط٤، بغداد(١٩٧٦)، ص١٣١.

ومن المفيد ذكره أن طريقة تحضير النورة تختلف عن طريقة تحضير الجص، لانها تحتاج الى درجات حرارة عالية عند تسخين الصخور الكلسية داخل الاتون. وبعد نضوج الكتل داخل الفرن تترك عدة ساعات كي تبرد بعدها يصب عليها الماء البارد قصد تفتتها، وتحويلها الى مسحوق ناعم ابيض اللون[٣١]. ولكي يصبح هذا المسحوق مادة رابطة في البناء يخلط بنسب معينة مع الرمل.

لقد شاع استعمال الجص في معظم المدن، لان الجص مادة هشة لها قابلية كبيرة على امتصاص الرطوبة من الهواء، لذلك يفضل الناس كساء الجدران الخارجية بها مما يساعد على انعكاس أشعة الشمس وتخفيف الحرارة. ولعل امتصاص قدر من الرطوبة التي ترتفع عادة في جُبة أثناء الليل وفقدانها في النهار إثر ارتفاع درجة الحرارة يسهم في تلطيف الجو في داخل الوحدات البنائية. وهذا يحدث طبعاً من خلال ملامسة تيارات الهواء لسطوح الجدران مما يساعد في تخفيف حدة حرارة الهواء[٣٢]. ولا يخفى على أحد أن من فوائد تغطية الحوائط بطبقة من الجص يساعد على تماسكها وزيادة قوتها على التحمل لعوادي الزمن وعزلها عن المؤثرات الخارجية وعوامل التجوية ومن ثم التعرية.

ومن جملة المعالجات البيئية في عمارة جُبة هو الاعتماد على السقوف المستوية المصنوعة من الخشب، فالجوائز المنتخبة من جذوع الشجر او النخيل تغطى بجريد مكسي بحصر من الخوص حيكت من الخوص، يعلوها طبقة من الطين يصل ثخنها في بعض البيوت الى ٣٠سم. مما يوفر عزلا حراريا عاليا. ولهذا السبب تشهد البيوت القديمة في الصيف أنخفاض في درجات الحرارة.

ومن البدهي أن تعالج تصاميم بيوت السكن في جبة المشاكل البيئية والمناخية ذات العلاقة براحة الإنسان وصحته العامة. فتخطيط البيت يعتمد عادة على الصحن المكشوف الذي تنتظم حوله الحجرات بطابق واحد أو طابقين. وهو يضم في العادة مجموعة من العناصر البنائية أولها المدخل. والمداخل في بيوت جُبّة بسيطة التصميم معظمها على شكل فتحات لا يزيد عرضها عن متر واحد متوجة بعقود نصف دائرية. بعضها مبني بالحجارة وبعضها الاخر مصبوب بالجص ومسلح باغصان الاشجار لذلك يبدو ناصع البياض.

تشغل المداخل ابواب تتكون من مصراع واحد مثبت بأحد طرفيه عمود من الأشجار القوية يدور فوق صنارة حجرية. وفي هذه الطريقة يقطع جذع الشجرة او النخلة إلى عدة أجزاء بأطوال مناسبة، ثم تُشرح القطعة الواحدة إلى ألواح عريضة يتم تثبيتها إلى جانب بعضها على ألواح مستعرضة بوساطة مسامير وتزود هذه الأبواب الضخمة بأقفال بعضها على شكل مزلاج ثقيل له بيت مثبت بقوة في البناء والمزلاج وبيته يصنع عادة من شجر التوت او المشمش لصلابته ومقاومته عوادي الزمن.

يؤدي المدخل عادة إلى مجاز ينتهي بصحن البيت، أو مجازين في البيوت الكبيرة، التي لها عدة واجهات تنفتح على الازقة المجاورة. وعلى يمين أو يسار الداخل الى المجاز باب يؤدي إلى حجرة كبيرة نسبيا مخصصة في بعض البيوت للضيوف، وتصميمه أحيانا يكون على شكل ممر منكسر أو مستقيم يتألف من قسم واحد أو قسمين متصلين ببعضهما بوساطة فتحات متوجة بعقود. وسقفه يشبه سقف البيت وهو في الغالب مستوي من الخشب.

ومن العناصر الأساسية في البيت الصحن، إذ يعدُ مرشحاً للهواء من الأتربة والغبار، ويخفف من درجات الحرارة في فصل الصيف ويختزن الدفء في فصل الشتاء حيث يتعرض جانبا منه إلى أشعة الشمس لساعات طويلة من النهار[٣٣]. وتنتظم حول الصحن عدد من الحجرات بعضها مخصص للخدمات كالمطبخ والحمام، وبعضها الآخر لشؤون العائلة من معيشة أو نوم. ولابد أن يكون من بين هذه الحجرات واحدة لرب العائلة. ولندرة الأخشاب الطويلة وعدم صلاحية جذوع النخيل في تسقيف الفضاءات الواسعة تكون حجرات البيوت عموما ضيقة وطويلة.

يتصل بأحد أطراف الصحن مطبخ لإعداد الطعام وكنيف وحمام، ونظرا للحياة الريفية وما تنتجه بعض العوائل من منتجات زراعية تزود بعض البيوت بحجرات تستخدم مخازن لحفظ الأطعمة من حبوب وتمور، فضلا عن بعض اللوازم الضرورية المرتبطة بالزراعة وأعلاف الحيوانات. ومعظم البيوت ملحق معها حظائر للحيوانات صغيرة المساحة معدة للاغنام.

أما الديوان أو كما يسمى في بغداد بـ (المجلس) وفي جنوب العراق بـ (المضيف). فتوجد منه أمثلة في بعض البيوت القديمة مازالت بحالة جيدة. والديوان في جُبّة لا يختلف عن الدواويين المبنية في آلوس وحديثة وعنه من حيث التصميم. وعادة يكون على شكل قاعة كبيرة معدة لاستقبال عشرات الرجال، الذين يامونه لقضاء بعض الوقت في الليل وتجاذب اطراف الحديث أو لسماع الموعظة والشعر. او لحل الخصومات والمنازعات بين القبائل والافراد. وللديوان وظيفة أخرى تتمثل في أيواء الطارئين على المدينة من الضيوف.

---

[٣١] - مازن عبد الرحمن الهيتي، مواد البناء وتقنيات العمل المستخدمة في تشييد المساكن القديمة نموذج مدينة هيت (القلعة)، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، عدد خاص بندوة التراث المعماري في محافظة الانبار، ٢٠١٢، ص١٩٥.

[٣٢] - يحيى وزيري، المرجع السابق، ص١١٠.

[٣٣] - احمد قاسم جمعة، المعالجات البيئية لتصاميم المساكن التراثية في الموصل، دورة المعالجات البيئية لتصاميم المباني عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨، ص٨.

ولم تكن أجزاء النخلة - من جذوع وكرانيف وجريد وورق(خوص) وليف -مقتصر توظيفه على التسقيف فقط، بل تعداه إلى أمور كثيرة منها على سبيل المثال صناعة بعض الأثاث واللوازم من حبال وسلال وأطباق تحاك وترتب من أجزائها وتشكل بمهارة.

لقد حاول معمار الحواضر في اعالي الفرات معالجة بعض العناصر في الأبنية، للتخفيف من درجة الحرارة المرتفعة في فصل الصيف، فعلى سبيل المثال قلل من النوافذ ومساحتها، وحاول اختصار حجمها إلى الحد المعقول، ثم جعلها مفتوحة نحو الشمال الغربي لاستقبال النسيم البارد. وزاد من استعمال الكوى أو الحنايا الصماء لفوائدها لان كليهما يقطع الملل الذي يحس به الناظر الى الجدران الطويلة وتنفع في الاقتصاد في مواد البناء وتخفيف الثقل عن الاسس، فضلا عن كونها تستعمل لوضع بعض اللوازم لذلك جرت العادة ان تقسم الحنايا الى عدة اقسام بوساطة رفوف من الجص صبت بقوالب[٣٤]. ومن المفيد ذكره ان الحنايا الصماء التي وجدت في البيوت موضوع الدراسة متوجة بعقود نصف دائرية مصبوبة بالجص ومسلحة بالقصب أو بأغصان الاشجار الرقيقة، وهي متاثرة بالعمارة الاسلامية الشاخصة في المنطقة الغربية، ولاسيما الابنية الدينية المزودة بتشكيلة متنوعة من الاعمال الجصية. والاخيرة طبعت بالطابع الصوفي فأقتصرت فيها الزخرفة على الحنايا والكوى ومنها مئذنة عنه وضريح الشيخ حديد والشيخ نجم الدين ومزار أولاد الرفاعي في حديثة ومقام الخضر في كبيسة.... [٣٥].

الخاتمة

لقد سعت الدراسة إلى توثيق عددا من البيوت بمخططات، ورسوم، وصور، لان قسما كبيرا منها سوف يزول عاجلا أم أجلا لعدم عناية الدوائر المختصة بها. وعدم إدراك أهميتها بوصفها جزءا من الموروث الحضاري العراقي.

ـ لقد كشفت الدراسة الميدانية التي قامت على مجموعة من تصاميم البيوت التراثية، مازالت قائمة في وسط جزيرة جبة ومعظمها اطلال، والقائم منها متاخر في التاريخ، ويمكن تقسيمها الى انماط هي:

أ ـ بيوت ذات مساحات كبيرة نسبيا، بعضها يتكون من طابق أو طابقين بنيت من قبل العوائل الميسورة. تتالف من صحن مكشوف تنتظم حوله مجموعة من الحجرات ومطبخ وحمام وكنيف فضلا عن الديوان. والبناء مغلق الى الداخل باستثناء الفتحات الشاقولية العليا التي تشبه المزاغل كما اسلفنا. ويمتاز هذا النوع من التصميم بتعدد مداخله الخارجية ومن ثم تعدد المجازات التي تقود الى الصحن.

ب ـ بيوت متوسطة المساحة من طابق واحد، الوحدات البنائية فيها مكررة تنتظم حول صحن مكشوف. وفيها ديوان. ومزود بمجاز منكسر احيانا، يتميز بانفتاحه نحو الداخل، لعدم وجود نوافذ تنفتح الى الخارج باستثناء فتحات عالية تحت السقف لزيادة انارة الحجرات وتهويتها في الصيف.

ج ـ بيوت صغيرة المساحة لا تتعدى المائة متر. تعود الى الطبقة الفقيرة وقوام تخطيطها حجرة ومعها ايوان او حجرتان متقابلتان او متلاسقتان تنفتحان على صحن مكشوف. وفي الصحن درج وكنيف. ويمتاز هذا التخطيط بخلوه من حجرات الضيافة والمطبخ.

د ـ هناك نوع أخر من البيوت ذات المساحات الصغيرة، يمثل بيوت الطبقة المتوسطة والفقيرة، ويتميز بخلوه من الصحن حيث تجتمع الوحدات البنائية حول مجاز كبير مسقف تحيط به ثلاث حجرات أو اربعة من طابق واحد. وله واجهة يتوسطها المدخل الرئيس وعلى جانبية النوافذ التي تعتمد في أضاءة وتهوية الحجرات. وهذا التصميم من البيوت متاثر بالطرز الغربية وهو متاخر اخذ بالانتشار في النصف الاول من القرن الماضي.

ـ لاشك إن للعوامل البيئية والمناخية دور ريادي في تشكيل نمط تخطيط المسكن وتلاؤمه مع محيطه الطبيعي من خلال تكيفه مع خصوصيات الظروف الجوية، وفي الوقت نفسه تعالج تصاميم البيوت المشاكل البيئية والمناخية ذات العلاقة براحة الإنسان وصحته العامة. فتخطيط البيت يعتمد عادة على الصحن المكشوف الذي تنتظم حوله الحجرات بطابق واحد. وهو يضم في العادة مجموعة من العناصر البنائية أولها المدخل، ثم المجاز وبعدها الصحن والحجرات. ومن الملاحظ ان معظم البيوت في جبة تخلو من الاروقة التي تتقدم الوحدات البنائية.

ـ من البدهي أن يكون اختيار أشكال السقوف بناءً على معرفة مسبقة بمعدل الأمطار الساقطة سنويا، وتأثير الرياح، والتباين في معدلات درجات الحرارة. وقد كشفت الدراسة الميدانية عن نوعين من السقوف في عمائر جبة تتمتع بقدرتها على العزل الحراري ومقاومتها للرياح والرطوبة.

ـ مراعاة طبيعة مواد البناء من طين، وحجر، وجص، وخشب، وجهود المعمار ومساهماته في تطويع هذه المواد وتوظيفها بقصد تنظيم الطقس داخل الوحدات البنائية بما يلائم طبيعة الإنسان وعيشه في الفصول جميعها. وبشكل عام، البناء في جبة يتميز بالبساطة وعدم الأثراء وندرة الزخارف، ففي معظم البيوت تكون الجدران مبنية بالحجر والطين او باللبن، وأحيانا بالاثنين معا، وتكون مجللة من الداخل والخارج بالجص، بعضها بطريقة بدائية تعتمد على الايدي فقط، لذلك سطوحها على الدوام خشنة. ليس هذا فقط بل بعض البيوت ولاسيما الريفية منها تكسى بالطين.

---

[٣٤] - سعدي ابراهيم الدراجي، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤٣٤-٢٠١٣م، ص١٦٢.

[٣٥] - زهير العطية، الأعمال الجصية في حوض شمال الفرات، مجلة أفاق عربية، العدد٣، ١٩٧٥م، ص٨٢.

قائمة المصادر والمراجع

- إبن حوقل، ابي القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ)، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
- إبن خرداذبة (ت نحو ٢٨٠هـ) ، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٩هـ.
- إبن سيدة، أبي الحسن علي بن أسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، ج٥، المطبعة الكبرى، مصر، ١٩١٨.
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع، ج١، بيروت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- أحمد قاسم جمعة، المعالجات البيئية لتصاميم المساكن التراثية في الموصل، دورة المعالجات البيئية لتصاميم المباني عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨.
- أللحافي البغدادي، رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، المورد، م١٨، العدد٤، ١٤١٠-١٩٨٩م.
- خالص الأشعب و عبد الناصر صبري، العمارة السكنية في اقليم اعالي الفرات، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، عدد خاص بندوة تراث وتاريخ الانبار، ٢٠١١.
- زهير العطية، الأعمال الجصية في حوض شمال الفرات، مجلة أفاق عربية، العدد٣، ١٩٧٥م.
- سالنامة، ١٢٩٤هـ ، سالنامة، ١٢٩٩هـ، دفعة ٣، سالنامة، ١٣٠١، دفعة ٥.
- سعدي إبراهيم الدراجي، أثر التجوية على الحجارة المستخدمة في واجهات البيوت التراثية في قلعة اربيل، بحث القي في المؤتمر العلمي الثاني الذي أنعقد في أربيل للفترة من ٢٤-٢٦/شباط/ ٢٠١٣م، برعاية وزارة الثقافة والشباب تحت شعار "تاريخ أربيل ودورها الحضاري".
- سعدي ابراهيم الدراجي، خانات بغداد في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤٣٤- ٢٠١٣م.
- سليمة عبد الرسول، المباني التراثية في بغداد، دراسة ميدانية لجانب الكرخ، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٧م.
- طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الأثار والحضارة، الرحلة الاولى، وزارة الارشاد، بغداد، ١٩٦٢م.
- عبد الباقي الالوسي، الروضه اليانعة في بيان السفرة الرابعة ، السفرة الخامسة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، المركز الوطني للمخطوطات ، المخطوط بدون ترقيم الصفحات
- عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٧.
- علي ميلاد جميل، البيوت العربية الإسلامية بالمدينة القديمة طرابلس خلال العهد القرمانلي (١٧١١-١٨٣٥م)، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى جامعة مصراته، قسم الآثار والسياحة – الخمس، ٢٠١٠م.
- مازن عبد الرحمن الهيتي، مواد البناء وتقنيات العمل المستخدمة في تشييد المساكن القديمة نموذج مدينة هيت (القلعة)، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، عدد خاص بندوة التراث المعماري في محافظة الانبار، ٢٠١٢، ص١٩٥.
- مس بيل، من مراد الى مراد، ترجمة عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ١٩١٣.
- ناظر عبد الجبار الحديثي، جغرافية مدينة الحديثة وآلوس، ندوة الحديثة وآلوس في الفرات، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٩.(مخطوط)
- الهمداني، ابو بكر محمد بن موسى (ت٥٨٤هـ)، الاماكن او ما أتفق لفظه وأفترق مسماه في الامكنة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ.
- هيثم قاسم محمد، حلول البناء في مباني الموصل في العصور الإسلامية، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، مقدمة إلى كلية الآثار / جامعة الموصل، ٢٠١٢م.
- ياقوت الحموي (ت٦٢٦)، معجم البلدان، م٢، دار صادر و دار بيروت، بيروت، د.ت.
- يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة (٣٠٤)، مطابع السياسة، الكويت، ١٤٢٥-٢٠٠٤.
- يوسف الدواف، إنشاء المباني والمواد البنائية، مطبعة أوفست الميناء ط٤، بغداد ١٩٧٦.
- Clark. E .W, Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, Vol.1, Newyork, 1897.
- The National Geographic Magazine, Vol : XXVI, July-December, 1914.